الإسلام والإعجاز

أعلم أن أفذاذاً من رجال العلم يتحدثون فى وثوق عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم... ولكنى أوثر أن أتكلم عن الإعجاز الفنى فى القرآن الكريم.

والإعجاز الفنى ألوان – إعجاز بلاغى معروف لست فى حاجة إلى تفصيله.

– إعجاز نفسى.

– وإعجاز معنوى.

وما ألزم الأشياء فى عصر العلم الذى استعز بذكاء العقل وحده فأجدبت الروح.

الإعجاز النفسى من نصاعة القرآن أنه طب لجسم الإنسان وروحه معاً ليتواءم الكيان كلا واحداً. إن الصلح مع النفس هو التوحد فلا انقسام ولاتشتت ولا عراك داخلى ولاخوف ينعكس على الخارج فيورث صاحبه الخوف من الآخرين، لأنه، قبلا، خائف فى نفسه... خائف من نفسه... خائف من الناس.

تشكيل التمثال صلح بين كتلة وكتلة.

الوزن فى الشعر انسجام بين شطرى البيت إن السكينة الإسلامية غير الجلَد الرواقى. إنها شئ أكبر... مدد علوى... هو اطمئنان وتواصل لفيض هناءات تهون أمامها الخطوب وتتجدد الرؤى وتشرف النفس من علياء عزها الجديد أمام احتدام الأمور.

إنه ميلاد للنفس يعود به الإنسان من غربته.. يخرج من عذابه أو يعلو عليه.

إن بعض المدن العربية تبلغ نسبة مرضى النفوس فيها ٧٥٪ أى فيها وباء نفسى.

حتى العلاج يزيد الحائرين حيرة لأنه علاج قد يتصل بالعلم وحده ولكن ينقصه الإيمان والعلم على قدره، ليس كل شىء.

إن المستريح فى الغرب بدأ يطرح حيرته.

وحيرة المتقدم أشد وطأة، لأنه وصل إلى الإشباع أما الفاقد فحيرته محدودة... أقصاها: الاقتناء.

ولكن حيرة الإشباع أنه لايجد ذاته وذاته ليست فى السوق.

إنسان الغرب على مسار قرنين من الزمان اكتسب كل شئ إلا نفسه ففى قمة الاكتساء ببريق الخيوط الصناعية وجد نفسه فى قمة العراء والعرى.

لقد حقق الوفرة ولكن ماحققه سيتركه لغيره.

لم يحقق مايبقى له من الأعمال الباقية.

عندما مات الإسكندر أخرجوا يديه من الكفن خاليتين من كل عروض الدنيا التى كان يملكها.

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ومعنى الآية الكريمة أو دلالتها الكبيرة أن المال والبنين **زينة** الحياة وليسا معا **جوهر** الحياة.

الفقير يشقى بالحرمان والمتقدم يشقى بالقلق على ماعنده، إنه الوعى الشقى. وهنا يأتى الإسلام بدعوته الأخذ بنصيب من الدنيا والعمل للآخرة، إجابة شافية على حيرة الإنسان فى القرن العشرين.

ومن هنا من أراد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.

يقول «راسل»: (فى عصر العقل نعيش اللامعقول).

الإنسان الغربى غير قادر على تحديد مشكلة لأن مشكلته داخله... ليس من السهل عليه تبينها.

نعم، للحضارة ولكن حضارة من أجل الإنسان. لاحضارة من أجل الأشياء وحدها.

الإنسان يرى التلفزيون الملون المنور وهو معتم من الداخل.

نعم للأسباب الحضارية أى الموضوعية والمنهجية.

المنهج قيمة إذا نظّم الإنسان لا الورق وحده

الإنسان هو الثروة الحقيقية.

الآلة فى يد غيرى ولكن الإنسان أنا

حضارة إنسانية أن يستهل الإسلام فاتحة كتابه الأكبر **بما بين الله والإنسان** دون سائر الموضوعات الكبرى، متوجا هذه العلاقة **بالرحمة** تظلل الإنسان بالطمأنينة من لدن الرحمن الرحيم.

بينما التوراة قلما ذكرت الرحمة... حتى حين ذكرت الرحمة، وردت فى سفر التثنية «السفر الخامس» الذى يعزو، الدكتور فؤاد حسنين، وضعه إلى محاولة إنقاذ مملكة يهوذا، أى أنه مستحدث لغرض. ولهذا يخالف الأسفار السابقة حتى الوصايا العشر، عرضها عرضا جديدا يخالف العرض الآخر الذى ورد فى «سفر الخروج».

والرحمة فى المسيحية تلتمس من الله، ولكنها فى الإسلام وعد من الله، أى أمر محقق كما يقول الدكتور كامل حسين فى كتابه (الذكر الحكيم) أمل مطروح ومفتوح، وهو شعور يزيد فى طمأنينة النفس المسلمة...

آيات الكليات

هناك آيات فى القرآن تسمى آيات الكليات كالفاتحة التى استهلها دون أسمائه الحسنى بالرحمة. توجيها إلى دستور يرشد به المجتمع.

(مالك يوم الدين) أى العالم الآخر. فى هذا اللفظ استقطاب الثواب والعقاب والحساب والجنة والنار فى بلاغة منقطعة النظير.

و(مالك) هذه سيطرة كاملة تامة.

من أجل هذا جعلها قوام الصلاة حتى يقرأها الإنسان فى اليوم ١٧ مرة.

ومن آيات الكليات أية الكرسى.

(الله لا إله إلا هو) (وحدانية)

(الحى) (ومن عداه موقوت يموت)

(القيوم) الذى يقيم كل شئ فهو يحكم ويملكه بالحكم والحكمة والعدل والعلم

(لاتأخذه سنة ولانوم) يقظة دائمة... نوعية مستحيلة على غيره... حتى السنة لاتأخذه.

(له مافى السموات والأرض) (ربوبية)

(من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (ملك الملوك إله الناس)

(يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) (محيط)
(ولايحيطون بشئ من علمه) (كل شئ قاصر أمامه) (إلا بما شاء)
(وسع كرسيه السموات والأرض) (وهو فى كل شئ)
(ولايئوده حفظهما) (قادر)
(وهو العلى) (أعظم الرفعة) (العظيم).

(الإسلام والدنيا):

ومن آياته النفسية أنه دعا إلى عمارة الداخل والخارج... عمارة الروح والجسم.

توهج الإسلام بحب الحياة فاعترف بمتاعها ومتعتها. أقر زينتها وطيباتها وطيوبها. فلا انطوائية ولا قوقعية ولازهد ولاحرمان. زهاده اختيار وأسلوب شخصية.

الإسلام أنيق يحب الجمال والزينة والنظافة. أوجب طهارة الجسم كالروح وزكى الطيب والخضاب، وأباح التزين وأتاح المتعة فى غير حرام، وألزم بالوضوء والاغتسال... فكان نظاما جامعا للدين والدنيا.

ويفرض هذا نصا... وطقسا... ثم بالإيحاء أو الاقتداء حين يبثه فى ثنايا أقوال كثيرة ولكن دون إسراف.

(الاسلام واحترام الانسان):

احترم الإنسان يوم جعل العلاقة بينه وبين الله مباشرة فالمسجد فى الإسلام، كالقلب المفتوح. إنه بيت الله دون حجاب ولا كهانة ولاوسيط وهذه هى سمة الإسلام الكبرى.

رأيت فى أمريكا الصفوف الأولى فى الكنائس للذين دفعوا أكثر ولكن المسجد فى الإسلام الناس فيه سواء من يحضر أولا يقف فى الصف الأول ولو كان خفيراً، ومن يحضر أخيرا يقف فى الصف الأخير ولو كان أميراً.

وبهذا الاحترام الكامل للإنسان، صنع الإسلام حضارته لقاء حميما بين المادة والروح حين غلّبت الحضارات الأخرى أحدهما على الآخر.

ان فى بعض مناطق افريقيا الغربية والجنوبية تقام كنائس للسود وأخرى للبيض وقد وقف عند هذا من كتاب الغرب «باسيل ولش» Basil Willch فى كتابه Religion today كما صور جون روبنسون فى كتابه Christian state in a primitive soceity لم يأبه الإسلام باللون ولكنه اعتد بالثراء الداخلى للإنسان من صفاء الذات ورهافتها وكرامتها.

الإنسان فى الإسلام موضوع وشخصية.

والمجتمع الإسلامى موضوع وتشريع.

والعالم فى الإسلام، رؤية جامعة.

وهو بهذه الأبعاد كلها، حضارة وثقافة وأسلوب شخصية.

دين الرحمة:

إنها رحمة أن يضاعف الإسلام الجزاء فى الحسنة ويقصره على المثل فى السيئة.

(لايحب المفسدين) قمة الرقة فى العتاب أو الحض على الاجتناب ومن هنا أو من وحى هذه الآية كان الإمام أحمد بن حنبل يتورع أن يقول حرام بل كان يقول: (هذا لاأحبه).

مهما تحرر العقل لايمكن أن يصل إلى ما فيه من العطاء... مافى القرآن الكريم أمر بالبشر لأن عطاء الوجه قد يفوق عطاء اليد.

وأمر بحسن الاستماع فإن الإصغاء لون من الكرم النفسى إنه استقبال رأى.

أمر بإعلان الشهادة فإن نصرة الحق شجاعة دونها انتضاء السيوف.

هذا هو إنسان الدين... إن حياة الروح والقيم هى التى تمنح بهجة الرؤية حين يحصل للغريزة تشكيل متسام.

إن الروح تحرر أولئك الذين يثابرون عليها من سجن العاطفة الشخصية التى تعكف على الاهتمامات الدنيا.

هذه الرؤية تمنح الحرية والجمال والحب لأفكار الإنسان ولعلاقته بالآخرين.

إنها تهيئ الحلول بشروقها.

إنها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة وترد الشارد إلى مكانه من حياة الإنسان.

لقد كان «نيتشه» غريزة قوية وعقلا جباراً ولكنه افتقد لمسة الروح فقضى سنيّه العشر الأخيرة فى مستشفى للأمراض العصبية.

«نيتشه» كأسلوب شعرى ممتاز، مقبول ولكن كأسلوب تفكير يقسم الناس إلى سادة وعبيد، مرفوض.

إن مشكلة فلسطين لاتحتاج إلى ذكاء يدرك عدالتها ومع هذا هى مشغلة الأذكياء من أقطاب العصر لأنهم أذكياء العقل لا القلب والروح.

الدين والفرد:

إن أزمة الإنسان المعاصر أنه أبعد من الصورة. أصبح إنسانا نمطياً. ولايميز إنسان عن إنسان إلا صفة فريدة فيه. والدين هو الميزان المضاد للعقلية الحشرية والحشدية. إن الحركات الحشدية اجتماعية وسياسية تحاول سحب السجادة من تحت قدميه. إن اعتماد الإنسان على «الله» يشد الإنسان إلى سلطة أخرى غير سلطة الدنيا. ودون مسئولية الفرد أمام «الله» تصبح الأخلاق أمورا تواضعيه... قوانين تقبل التحايل.

ولاتوجد حضارة بلا ديانة. وعندما يوجد الشك فهو دليل الانحلال. وفى الانحلال تشتد الحاجة إلى الدين وليس مصادفة أن يتنبأ أندريه مالرو وزير الثقافة الفرنسى فى عهد ديجول أن موضوع القرن الحادى والعشرين سيكون: «**الدين**» وهنا تكون العودة الى الشرق.

الدين والحضارة الغربية:

اعتمدت الحضارة الغربية على الذكاء وحده واستعزت به وحده فأجدبت الروح، أجدبت النفس.

وممن نقدوا الحضارة الغربية «برناردشو» فى كتابه (دليل المرأة الذكية)، و«ديوى» فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة Individualism old and new الذى أشار فيه إلى التشقق فى النفس الأمريكية، و Alexes Karelle الفرنسى فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول). أما يونج فى كتابه .The Undiscovered self فقد أوضح فيه أن خلاص العالم منه خلاص النفس. ويقول يونج: (إن خلاص العالم منه خلاص النفس لم يعد العالم مهدداً بالكوارث الطبيعية أو الأوبئة ولكن بالتغيرات السيكولوجية إن أى اختلال يصيب التوازن فى رأس حاكم (من دول الفيتو) يلقى العالم فى بحر من الدماء).

ويونج فى الفصل الرابع من كتابه يقول إن من المذهل حقا أن الفرد الذى أبدع واخترع وخطط لايفهم نفسه. لايدرك قيمة نفسه حتى ليقال إن الإنسان لغز نفسه.

وكما احتاج خطؤنا لادراك وجه الصواب فى المجموعة الشمسية إلى علم عظيم فإننا لكى نفهم أنفسنا، فى حاجة إلى علم وعالم عظيم.

الإعجاز المعنوى

ومن آياته اعترافه بالكتب السماوية قبله فى صورتها الأولى كما أنزلت، قبل أن يمسها تغيير من أى حجم وصفة. وغير هذا عنصرية اليهود... إنها قبلية هابطة فأن يكون الله إلههم وحدهم وأن يكونوا هم شعبه المختار وغيرهم شعبه المحتار، نظرة طبقية قبلية منافية للإنسانية حين سوى الإسلام بين الناس.

وحين خلقهم شعوبا وقبائل فلكى يتعارفوا وجعل الأفضلية للتقوى وحدها والأكثر نفعا لا للڤيتو.

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

ومن الحديث (خير الناس أنفعهم للناس)

واعتراف الإسلام بالأديان الأخرى كما أسلفت نقاء يقفل الباب أمام الردة عنه.

إن الاعتراف بالأديان الأخرى حظ كبير ينفرد به ونبعة تسامح تحفظ عليه بشره وقوته وسط شتى الظروف وهو سر من أسرار قوته.

الإسلام والحضارات:

إعجاز الإسلام فى اعترافه بالحضارات كالأديان. وهو وثوق وتفتح وانفتاح. لم يدع ولم يهدد ولم يبدد بل حفظ، وصان، وأضاف، وتبادل الأخذ والعطاء فى انفتاح وانفساح ورضا... ألان صلابة العناد وأذاب رهبة الخوف أو التهيب أو التحفظ على أقل التقدير. بل من سماحته وعالميته أن اعتبر نفسه دولة عامة يقوم بها المسلمون جميعا حتى عاصمته السياسية سرعان ما انتقلت من موطنه الأصلى إلى الأوطان الأخرى فهى دمشق وهى بغداد وهى القاهرة.

لقد خرج هولاكو من صحراء فدمر.

وخرج الإسلام من صحراء فعمر وجعل لها دولة وثقافة وحضارة.

الفرق هو الإسلام.

حضارة استرعت أنظار الناس من غير المسلمين منذ مايقرب من ألف سنة حتى أشد الحانقين عليها وهو رينان لم يلبث أن قال: (ما دخلت مسجداً قط إلا تملكنى انفعال شديد وهو لو أفصحت عنه نوع من الأسف على أنى لم أكن مسلما).

إن النتائج الحضارية الخطيرة التى حدثت فى تاريخ البشرية، وترتبت على ظهور «محمد» النبى العربى، وعلى قيامه ببث الدعوة إلى الدين الإسلامى وعلى انتشار هذا الدين فى منطقة كبيرة من العالم.

هذه النتائج تعد بلا شك نقطة تحول هامة فى مجرى حضارات العالم.

ولايمكن مقارنة هذا الحدث بأى حدث آخر فى تاريخ البشرية. لقد لبثت أوربا فى طور التخرج والنقل حين أخذوا عن العرب أكثر مما لبث العرب فى هذا الطور حينما أخذوا عن اليونان.

قوة الإسلام الذاتية:

تتمثل فى تزايد الإسلام اليوم على الرغم مما عليه حال المسلمين دولا وشعوبا، من ضعف يبلغ فى بعض المواقع إلى قهر... ومع هذا يدخل فى الإسلام حتى أولئك الذين ينتمون إلى عالم الأقوياء.

يدخل فى الإسلام اليوم، أوربيون وأمريكيون ومن بين الصفوة فى الغربيين مثل «موريس بوكاى» و«جارودى» وغيرهما من الأفذاذ.

أما أفريقيا فعلى الرغم من انتشار الإرساليات التبشيرية بها فإن الاسلام يسرى فيها حتى يقدر بعض الباحثين أنها، قارة الإسلام فى القرن الحادى والعشرين.

إذاً هى قوة الإسلام الذاتية فواقعنا لايمكن أن يشكل قوة جذب لأهل الأديان الأخرى ولكنه، **وحده**، الإسلام.

(الإسلام... والتبشير والاستشراق):

أن ينتصر «الرسول» بما هو نبى الإسلام على المشركين، وأن ينتصر «أبو بكر» على المرتدين، وأن ينتصر «عمر بن الخطاب» على الأباطرة والقياصرة كسب كبير وحاسم للإسلام فى القديم. ولكن أن يصمد الإسلام فى العصر الوسيط والحديث للاستشراق والتبشير، قوة ذاتية فى داخله تحسب له حتى قال لورانس براون سافرا: (الخطر الحقيقى كامن فى نظام الإسلام، وفى قوته الذاتية. إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى).

وتقول مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية: (إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى. ولهذا الخوف أسباب منها: إن الإسلام منذ أن ظهر فى مكة لم يضعف عدديا، بل دائما فى ازدياد واتساع ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب بل هو نظام اجتماعى).

القرآن الكريم ثبت أربعة عشر قرنا:

إنه الآن ينتشر بين العلماء الغربيين وإن تكتم البعض Nous sommes a la maison de Arkum.[1]. ومن الغريب أنه يتقدم وأهله ليسوا فى المقدمة.

إذاً فقوته ذاتية.

ماذا نعرف عن عالم النمل أو النحل أو النبات أو الحيوان أو الطيور؟

إن فضائل علوم الحياة، الإيمان بالقوة الأعظم التى تعطى من الطين الوردة والعنبة... القوة المعجزة:

التى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى.

يعلق القشيرى على تعريفات الباحثين لأى معنى من المعانى بقوله (كلٌّ تكلمَ بما سَنَحَ له) أى الحقيقة الكبرى علمها عند الله أى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).

العلم الحديث يهتم بالمحسوسات التى تخضع للقياس ولكنه عاجز عن تعريف الإنسان كما هو، وعن العوالم الخارجية التى لاتخضع للقياس كالنفس، والروح، والشعور.

العلم الحديث حين ينتفع بالطبيعة يتكشف مافى الأشياء ولكنه لايحول الأشياء... تستطيع أن تتغلب على ضعف البصر بأن تلبس نظارة ولكنك لاتستطيع أن تغير حدقة العين.

واليوم نريد حضارة جديدة فيها إنسانية الإنسان وكونية الكون وقدسية الروح.

الرحمن خلق الإنسان علمه البيان.

ليس البيان اللغوى وحده ولكن كل مايبين عن النفس والكون.

العلوم بيان... الفنون بيان.

---

(١) إشارة إلى بداية الإسلام حين كان المؤمنون يعبدون الله سراً فى دار الأرقم اتقاء لقريش.

obeikandi.com

المدارس الدينية فى الإسلام (الشافعية – المالكية – الحنفية) كانت تدرس مع علوم الدين: الفلك – الهندسة

وهى رؤية فى العلاقات المتجانسة بين العلم والدين والفن يسمونها (العلاقات الفاضلة).

العلم حوار بين الإنسان وبيئته ونفسه.

العلم بحث عن كيفية الحدوث.

العلم استطلاع دقائق الخلق بتوفيق من الخالق.

يشرح الغزالى فى (مشكاة الأنوار) الآية (الله نور السموات والأرض) أى به تُرَى السموات والأرض.

وهذا يسوقنا إلى مفهوم: أن المدرك العلمى للألفاظ جانب واحد من استعمال اللغة. ويبقى المدرك الفنى والمدرك النفسى... يبقى المدرك الدينى.

يقول هوايت هد فى كتابه Science & Modern World ربما إذا تشككنا فيما إذا كان التاريخ يتقدم بالبشرية أم لا فإن شيئا واحدا مؤكداً يؤكد التقدم هو: الدين.

العلم الحديث قام بدافع السيطرة لهذا أثمر القوة ولم يثمر الرحمة... اهتم بالسرعة ولم يهتم «بالكينونة». زهوه كله أن يكون الإنسان بعد زمن قصير قد عبر البحر أو صعد السماء ولكنه لم يهتم أن (يكون).

الإنسان العصرى إنسان مختزل.

مختصر إنسان.

ولكن الإنسان بالوعى الدينى عنده حضور شامل لكيانه كله فى تناسق وتكامل يعطى عطاءه كاملا. ولأمر ما قال الإمام الغزالى بالعلوم القلبية.

فى مؤتمر الفن الإسلامى بلندن عام ١٩٧٦ قال النقاد الفنيون فى شبه إجماع إن الفن الإسلامى على اختلاف أوطانه متشابه وعزوا هذا التشابه إلى الخط العربى.

الفن الإسلامى يشده بعضه إلى بعض رباط بلاشك والعنصر الرائع الذى يربط عطاءات الفن الإسلامى فى أوطان عدة إنما هو **الفكر الإسلامى** ثم تجئ الكتابة العربية فتستوعبه.

وفى هذه المرحلة وصلوا فى كل حقل من حقول العلم إلى مستوى أعلى ودفعوا الفروع العلمية نحو مزيد من التخصص.. ووضعوا كثيرا من المصطلحات العلمية الجديدة كما أنهم وضعوا حجر الأساس لفروع علمية جديدة تماما نذكر منها:

علم الاجتماع وفلسفة التاريخ وعلم النحو والصرف والبلاغة.

وأخيرا فان العالم مدين لأولئك الباحثين العرب القدامى باعتماد التجربة كوسيلة للبحث العلمى تطبق بصورة منهجية.

ويشير المقال إلى رحلة قام بها **سبعون جغرافيا مسلما** فى بداية القرن التاسع الميلادى استغرقت عدة سنوات وأسفرت هذه الرحلة العلمية عن **وضع خريطة للعالم** تعتبر بالنسبة إلى ذلك الوقت **ذات دقة عالية** يعرضها معهد فرانكفورت بعد أن حولها بطريقة فنية بارعة إلى مجسم على شكل كرة أرضية.

وتحتوى مجموعة فرانكفورت الثمينة على كثير من الأشياء التى تبرهن على أن **العلوم والتقنية العربية كانت قد بلغت أوجها فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تغط فى سبات عميق.**

وكل قاعة من قاعات المتحف تضم فى جنباتها كثيراً من المفاجآت.

فبعض الأجهزة البالغ عددها نحو ٥٠٠٠ جهاز (خمسة آلاف) والتى كان قد اخترعها علماء الطبيعة أو الطب أو الفلك **تشبه حتى فى أدق أجزائها النماذج التى صنعها الباحثون الأوربيون فى مطلع العصور الحديثة وإن كانت اقدم منها بكثير.**

وهكذا تم البرهان على أن العالم الفلكى الدانمركى الشهير «**تيخوبراهه**» قد سرق –هذه عبارة سيلفستر فوهلر– الإنتاج الفكرى لمن سبقه وان **كوبر نيكوس** قد استخدم **عملا سابقا قام به عالم فارسى فى القرن الرابع عشر.**

اما الدرة اليتيمة فى مجموعة معهد فرانكفورت فهى **ساعة مائية صنعت فى القرن الرابع عشر عبارة عن خزانة مزينة بزخارف فنية جميله** وفى داخلها ساعة تديرها قطرات من الماء تتساقط عليها بشكل متواصل.

لقد أشاد الاسلام بالعلم والعلماء حتى ليقول «موريس بوكاى» (لقد اتخذ العلم لاول مرة صفة عالمية فى جامعات العصر الوسيط الإسلامية) كتابه: (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة).

العلم أحد أركان الحضارة التى تقوم على:

الدين – الفن – والعلم – والعمل – والمال.

وقد زكاها جميعا الإسلام ودعا إلى رعايتها رعاية جامعة متوازنة يثرى بها الإنسان فى شمول: روحه وجسمه معا فى توفيق دقيق وحقيق.

وقد طرحت الحضارة الإسلامية فى مجالات العلم والفن طرحا وافرا وزاهرا.

استشهد فى باب العلم بمجلة Deutsch Land الالمانية العدد ٩٥/٤٢ فقد كتب «سلفستر فوهلر» مقالا بعنوان (التاريخ الحقيقى للعلوم العربية) أشار فيه إلى أن المستشرق فؤاد سركين وصل الآن إلى كتابة المجلد الثانى عشر من أصل عشرين مجلدا ينوى كتابتها عن «تاريخ المؤلفات العربية».

وكان هذا العالم التركى الأصل يهتم منذ وقت مبكر – عندما كان تلميذا للمستشرق الألمانى المشهور هيلموت ريتر – بمسألة نشر التاريخ الحقيقى للعلوم العربية وتأثيرها على بلاد الغرب.

وفى الطرف الغربى من مدينة فرانكفورت تقوم مؤسسة بحثية... معهد دولى متخصص بتاريخ العلوم العربية والإسلامية.

ويشير المقال إلى عصر الترجمة إلى العربية من اليونانية والفارسية والسنسكريتية يقول سيلفستر فوهلر: (بعد مرحلة الجمع والاطلاع التى استغرقت نحو مائتى عام تمكن العلماء العرب خلالها من دراسة المعارف العلمية التى كانت موجودة فى العالم آنذاك.

بدأت مرحلة الإبداع والتأليف فى صفوف العلماء العرب.

لم يعاد الإسلام حضارة من الحضارات...

لم يتدخل فى العادات والتقاليد وأسلوب العيش والعقائد. لقد رفض عمر رضى الله عنه، وقد حضرته الصلاة أن يصلى فى كنيسة القيامة حتى لايفعلها المسلمون، بعده.

إن الإسلام قيمة كبرى لعناقه مع الحياة فى ود موصول يطبع حضارته بفنونها وعلومها حتى غدا له طابعا.

وفى العلم أعطى الإسلام، الحضارة الإنسانية:

* **الكندى** مؤسس نظرية الأصوات الموسيقية على قاعدة نطق الحروف المختلفة على أساس حركة الهواء فى الفم والحنجرة.
* **محمد بن موسى الخوارزمى** فى الجبر.
* **الشيرازى** (١٢٣٦ - ١٣١١) أول من فسر قوس قزح بأنه نتيجة لانكسار أشعة الشمس داخل قطرات الماء المعلقة فى الهواء.
* **الفازارى** الذى اخترع «الاصطرلاب» وهو جهاز فلكى قديم، أمثلة فحسب.

إن القرآن ليس للتبرك إنه روح الثقافة الإسلامية.

عصرنا اعتد واعتز بالعلم أى الذهن وحده وقبض الثمن الثروة والقوة ولكنه خسر نفسه وفقد الأسلوب. والنفس هى، الأسلوب.

مع كل تقدمنا فى الطب

مع كل تقدمنا فى التكنولوجيا

مع كل اهتمامنا بالحياة والموت، اخترعنا آلات دمار مروعة تستطيع فى دقائق أن تفنى الجنس البشرى... لأن العلم لم يقترن بإنسانية الدين فتحول تفتيت الذرة لخدمة العلم إلى نوع من القسوة فإذا بها تنتهى إلى القنبلة الذرية.

إن حضارة الغرب تدرس الأشياء لا الإنسان ولهذا لم يكتشف الإنسان إلى اليوم. إن مجرد وجود علم النفس دليل على أزمة الإنسان المعاصر المتشقق نفسيا.

ولذلك يجدر بنا عندما نتكلم عن (روح العصر) أن ندرك أن روح العصر هذه لها بُعدان فى الزمان والمكان فروح العصر فى الغرب عدمية تحطيمية ولكن فى الشرق شئ آخر... تفاؤل وإيمان وإحساس بالتاريخ وبالقيمة... إنسان الغرب فى حاجة إلى روح وهو ما أراد مونج أن يقوله فى كتابه Modern Man in Search for a Soul الذى ألفه فى الثلاثينات.

الدين حرية

الإنسان لايكون حرا حقاً إلا إذا كان عنده خبرة دينية ناضجة وهذا عكس مايظن البعض ممن يدعون أنفسهم أحرارا أى خارجين على الدين أو متخففين منه على الأقل.

حتى كلمة (عبد) فى الإسلام منتهى الحرية لأن عبد الله ينتفى معها أن يكون عبداً لغيره.

إن الإنسان المتكامل = خبرة دينية + خبرة علمية + خبرة خلقية + خبرة فنية

خبرات ناضجة لتعطى عطاءها معا فتكتمل الصورة.

لقد صنع القرآن الكريم أربعة عشر قرنا بما فيها من اجتماعيات وسياسات.

كتاب فجر كتباً بل مكتبات.

وتتمزق الأمة الإسلامية من الفرقة والتشتت والهوى والخطأ والخطايا... أحيانا... ثم لاتموت لأن هناك شيئا خفيا وقويا يربطها فلا تضيع ويمسكها فلا تتهاوى... هذا الرباط الخفى القوى هو القرآن... وقد لايعرف الناس هذا ولكنه واقعهم وحظهم الكبير.

(الإسلام والعلوم الحديثة)

(ومع هذا) يقول موريس بوكاى قبل أن يسلم (تناولت القرآن منتبها بشكل خاص إلى الوصف الذى يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية. لقد أذهلتنى دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهى تفاصيل لايمكن أن تدرك إلا فى النص الأصلى... أذهلتنى مطابقتها للمفاهيم التى تملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات والتى لم يكن ممكنا لأى إنسان فى عصر «محمد» (صلى الله عليه وسلم) أن يكون له عنها أدنى فكرة.

إن أول مايثير الدهشة فى روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة، فهناك الخلق وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم الحيوان، وعالم النبات، والتناسل الإنسانى وعلى حين نجد فى التوراة أخطاء علمية ضخمة، لاتكشف فى القرآن أى خطأ. وقد دفعنى ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنسانا، كيف استطاع فى القرن السابع من العصر المسيحى أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة؟ ليس هناك سبب خاص يدعو للاعتقاد

بأن أحد سكان شبه الجزيرة العربية فى العصر الذى كانت تخضع فيه فرنسا للملك داجوبير Dagobert D. Runes استطاع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالى عشرة قرون ثقافتنا العلمية فيما يخص بعض الموضوعات)

ويقول:

(ومن الثابت فعلا أن فترة تنزيل القرآن، أى تلك التى تمتد على عشرين عاما تقريبا قبل وبعد عام الهجرة (٦٢٢م) كانت المعارف العلمية فى مرحلة ركود منذ عدة قرون).

بل إن موريس بوكاى يعلق أهمية خاصة على المسائل العلمية التى لم يثرها القرآن (فما يحتويه هام... وما لايحتويه هام أيضا... فهو لايحتوى فى الواقع على ذكر النظريات التى أثبت العلم فيما بعد عدم صحتها. ولابد من التنويه بهذا الجانب ذى الطابع السلبى).

وفى نهاية المطاف: أؤكد على:

العودة إلى الدين الصحيح أى الجوهر...

التكامل النفسى والإنسانى أى **الجمع بين الدين والعلم والفن والفكرة فى وحدة.**

فكل منها قوة وثراء

ومجموعها غاية الإيمان الراشد فالمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف.

والتفكير فريضة إسلامية

ويوم جمع الإسلام بينها فى ترابط وفهم وعمل صارت له دولة وثقافة وحضارة وحضور يملك الكلمة والقرار.

نريد شخصية إسلامية تتمثل فى مجتمع إسلامى وفكر إسلامى واقتصاد إسلامى.

نتمنى أن يقترن الإسلام فى ذهن المسلمين بالعلم كعصور حضارته وكما هو مذكور فى كتابه من دعوة دائمة إلى العلم والكشف والتأمل.

دراسة التراث الإسلامى دراسة مضيئة واسعة الأفق تعمد إلى **تنقيته وتخليصه من الحشود والتزايدات والتهويمات والتهويلات** التى تشوهه عامدة.

ثم دراسة مايزال مخطوطا وتيسيره للنفع العام.

نريد تمثل التراث المعنوى للإسلام وهو شئ آخر غير إحياء التراث المادى هو تحرير معنوى يعين على إعادة بناء الشخصية الإسلامية مستمدة من قيم الإسلام التى غابت عنا.

نحن نحتاج إلى تجميع الذات الإسلامية علميا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا فى عملية مسح إحصائى شامل...

نحتاج إلى **بنك معلومات إسلامى**.

تتدارسها البلاد الإسلامية وندرسها فى المدارس والمعاهد وتكون خطة عمل لحكوماتها.

هذا هو المعراج فى محاولة للحل.

obeikandl.com